الذكاء الاصطناعي وتحولات الإبداع التشكيلي المعاصر من الأصالة الى الجمال التوليدي

"Artificial Intelligence and the Transformations of Contemporary Visual Creativity: From Authenticity to Generative Aesthetics"

الاسم واللقب: علي مالكي

مؤسسة المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة الجزائر، العنوان الالكتروني: malkiali1981@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/08/01 تاريخ القبول: 2026/04/28 تاريخ النشر: 2026/11/13

ملخص:

يتناول هذا المقال الأكاديمي موضوع الذكاء الاصطناعي وتحولاته في مجال الإبداع التشكيلي المعاصر، من خلال تحليل تطور مفاهيم الجمال والإبداع ودور الفنان والمتلقي في ظل هيمنة الخوارزميات. ينطلق المقال من إشكالية جوهرية تتعلق بمستقبل الفن في عصر تتداخل فيه الآلة مع الذات الإنسانية، مستعرضًا محاور متعددة من أبرزها: الذكاء الاصطناعي كأداة إبداعية، تحوّل مفهوم المؤلف، ظهور جماليات توليدية جديدة، وانهيار بعض معايير التقييم الكلاسيكية. كما يناقش المقال صعود "الفنان-المبرمج"، وتحوّل المتلقي إلى شريك في إنتاج المعنى، مؤكدًا على ضرورة إعادة التفكير في المفاهيم التقليدية للفن والجمال والمهارة. وخلصت الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي لا يلغي الإبداع الإنساني، بل يعيد تشكيله ضمن أنماط هجينة تتطلب من الفنان الوعي، والتجريب، والانفتاح على أدوات العصر.

كلمات مفتاحية:

الذكاء الاصطناعي، الفن التشكيلي المعاصر، الجمال التوليدي، الفنان-المبرمج، التلقي الجمالي، المؤلف، الخوارزميات، الأصالة، البرمجة الجمالية.

Abstract:

This academic paper explores the impact of Artificial Intelligence (AI) on contemporary visual art, focusing on how AI technologies are reshaping aesthetic values, creative processes, and the roles of both artist and audience. The paper addresses a central question: what becomes of art when machines participate in creativity? Key themes include AI as a creative tool, the transformation of authorship, the rise of generative aesthetics, and the decline of traditional evaluative criteria. It also investigates the emergence of the "artist-programmer" and the audience's new participatory role in constructing artistic meaning. The study concludes that AI does not replace human creativity but redefines it within hybrid frameworks that

challenge classical definitions of beauty, originality, and authorship. Artistic innovation today depends on embracing collaboration between human intuition and algorithmic logic.
Keywords: Artificial Intelligence, Contemporary Visual Art, Generative Aesthetics, Artist-Programmer, Aesthetic Reception, Authorship, Algorithms, Originality, Algorithmic Design.

1. مقدمة :

شهدت العقود الأخيرة تحوّلات عميقة في مجال الإبداع الفني، مدفوعة بتطورات التكنولوجيا الرقمية، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي (**AI**)، الذي لم يعد مجرد أداة تقنية بل أصبح فاعلًا مؤثرًا في الإنتاج الثقافي والجمالي. وفي خضم هذا التحول، وجدت الفنون التشكيلية نفسها في مواجهة واقع جديد، حيث أصبحت الخوارزميات قادرة على إنتاج صور ولوحات تحمل سمات الإبداع التقليدي، بل وتُعرض في صالات الفن العالمية. هذه الدينامية الجديدة فرضت إعادة نظر جذرية في مفاهيم مثل المؤلف، الأصالة، الجمال، والتلقي.

إن العلاقة بين الإنسان والآلة لم تعد تقتصر على التصنيع والمعلوماتية، بل امتدت إلى فضاءات الإحساس والتعبير، حيث يتقاطع الذكاء الاصطناعي مع الخيال الفني، فينتج عنهما نماذج هجينة من الإبداع تتجاوز التقسيمات القديمة بين "اليد" و"الآلة"، و"الخيال" و"الخوارزمية". وهو ما يثير تساؤلات حادة حول دور الفنان، طبيعة العمل الفني، ومستقبل الذوق الجمالي في العصر الرقمي.

الإشكالية

يطرح هذا المقال الإشكالية التالية:

كيف غيّر الذكاء الاصطناعي طبيعة الإبداع التشكيلي المعاصر؟ وإلى أي مدى أسهم في إعادة تشكيل مفاهيم الجمال، المؤلف، والتلقي الفني؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية:

-ما طبيعة الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة فنية؟

-كيف أثّر في العلاقة بين الفنان والعمل الفني؟

-هل لا تزال الأصالة والحرفة معيارًا في زمن الفن التوليدي؟

-ما موقع المتلقي في تجربة جمالية تنتجها خوارزميات ذكية؟

-وهل يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي كيانًا مبدعًا أم مجرد وسيط تقني؟

المنهج المتبع

يعتمد هذا المقال على **المنهج الوصفي التحليلي النقدي**، حيث يُرصد حضور الذكاء الاصطناعي في الفنون التشكيلية المعاصرة، ويُحلّل تمظهراته الجمالية والرمزية ضمن أعمال مختارة ومشاريع فنية معاصرة. كما يوظف أدوات النقد الفني والفكر الفلسفي لتفكيك التحوّلات التي طرأت على مفاهيم الجمال، المؤلف، والتلقي في سياق الرقمنة والذكاء الاصطناعي.

ويرتكز التحليل على:

-مراجعة دراسات حديثة في مجال "الجماليات التوليدية" و"الفن والخوارزمية".

-تتبع التجارب الفنية التي تدمج الذكاء الاصطناعي في إنتاجها.

-استقراء التحوّلات النظرية في تعريف الفن والذات المبدعة.

-مناقشة التأثير الثقافي والاجتماعي لتكنولوجيا الذكاء على الذوق العام.

1. الذكاء الاصطناعي كأداة إبداعية

1.1 الذكاء الاصطناعي كامتداد لقدرات الفنان

لقد مثّل الذكاء الاصطناعي قفزة في أدوات التعبير الفني، وخصوصًا في الفنون التشكيلية المعاصرة التي باتت تعتمد على تقنيات رقمية معقدة تتيح للفنانين تجاوز محدودية الوسائط التقليدية. فالذكاء الاصطناعي ليس بديلاً عن الفنان، بل امتدادٌ لقدراته، أداة *توسّع أفق الخيال البشري* من خلال تقديم اقتراحات بصرية لم يكن ليستطيع إنتاجها يدويًا، أو على الأقل ليس بالسرعة ذاتها.

فالفنان المعاصر لا يكتفي بتوظيف الفرشاة أو الحاسوب، بل يبرمج الذكاء الاصطناعي ليخلق أنماطًا تشكيلية جديدة تتجاوز حدود التوقع. كما يُعيد هذا التفاعل صياغة علاقة

الفنان بأداته: لم يعد الفنان هو المسيطر الوحيد، بل أصبح جزءًا من نظام إبداعي يتشارك فيه مع الخوارزمية.

2.1 تقنيات التوليد التخيلي (Generative AI)

من أبرز تقنيات الذكاء الاصطناعي في الفن التشكيلي ما يُعرف بـ**شبكات الخصومة التوليدية** (***Generative Adversarial Networks - GANs***)، وهي خوارزميات تتكون من نموذجين متعارضين: أحدهما "مولد" ينتج صورًا جديدة، والآخر "تمييزي" يحاول تمييز الصور الزائفة عن الأصلية، ما يدفع المولد لتحسين إنتاجه باستمرار حتى يصل إلى نتائج شبه واقعية**(Goodfellow, et al., 2014)** .

وقد استُخدمت هذه الشبكات في إنتاج لوحات تحمل ملامح أساليب فنية متنوعة، مثل الانطباعية، التكعيبية، والسريالية.

يقول الباحث أحمد الجمل في دراسته حول الفن التوليدي: "تُظهر **GANs** قدرة الذكاء الاصطناعي على تشكيل توليفات بصرية تجمع بين الأرشيف والأسلوب، الماضي والمحتمل، مما يفتح المجال لتجربة جمالية ما بعد بشرية"**(Ahmed, S, 2019)** .

3.1 حالة Obvious وبيع أول لوحة مولدة بالذكاء الاصطناعي

في عام 2018، أثارت مجموعة ***Obvious Art Collective*** الفرنسية اهتمامًا عالميًا ببيع أول لوحة فنية مولدة بالكامل بواسطة الذكاء الاصطناعي في مزاد علني نظمته دار كريستي العالمية بعنوان **Portrait of Edmond de Belamy**، مقابل أكثر من 432,000 دولار أمريكي. تم إنتاج اللوحة عبر خوارزمية **GAN** دُربت على أكثر من 15,000 صورة بورتريه كلاسيكية من القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين.**(Barthes R. , 1967)**

أثارت هذه التجربة نقاشات نقدية حول طبيعة العمل الفني:

- من هو المؤلف الحقيقي؟ هل هو المبرمج؟ الخوارزمية؟ أم قاعدة البيانات؟
- هل يكفي أن تُنتج الآلة صورة جميلة لتكون فنًا؟
- وأين تقف العلاقة بين الإبداع والنية الذاتية؟

4.1 الذكاء الاصطناعي كمحاكي للأسلوب لا للمضمون

يُلفت العديد من النقاد إلى أن الذكاء الاصطناعي يستطيع محاكاة الأسلوب الفني، لكنه لا يستطيع تقليد الدافع الإنساني الوجودي خلف العمل. فالخوارزمية قد تُنتج لوحة تكعيبية جديدة، لكنها لا "تشعر" بالقلق الذي شعر به بيكاسو حين رسم "غرنيكا". وهذا يعيد إلى الواجهة مسألة النية، إذ لا يمكن للخوارزمية، مهما بلغت تعقيدها، أن تملك تجربة حياتية أو وعيًا تاريخيًا أو موقفًا أخلاقيًا.

ومع ذلك، لا يجب التقليل من شأن الذكاء الاصطناعي بوصفه مجرد "نسّاخ" بصري. فبفضل قدرته على إعادة تركيب الأنماط، يقترح هذا الذكاء إمكانيات تشكيلية جديدة قد تُفاجئ حتى الفنان نفسه، مما يجعله شريكًا في التجريب الإبداعي.

5.1 توظيف الذكاء الاصطناعي في المشاريع الفنية المعاصرة

اتجه العديد من الفنانين إلى إدماج الذكاء الاصطناعي في مشاريع تفاعلية أو متعددة الوسائط. فالفنان الألماني **ماريو كلين** يستخدم خوارزميات توليدية لصناعة لوحات متغيرة بتغير مدخلات المشاهد(**Barthes, 1967**) . وفي مشروع **AI Portraits** الذي طوّره معهد **MIT-IBM**، تمكّن الذكاء الاصطناعي من تحويل صور شخصية حديثة إلى بورتريهات مستوحاة من مدارس فنية كلاسيكية، ما يطرح السؤال: هل هذه إعادة بناء أم خيانة للأصل؟ **(Klein, 2012)**

6.1 دور الفنان بوصفه مبرمجًا أو مصممًا للخوارزمية

التحول الأبرز الذي أحدثه الذكاء الاصطناعي هو نقل الفنان من موقع "المنتج المباشر" إلى موقع "مصمم النظام الإبداعي". فبدل أن يرسم الفنان اللوحة بيده، يقوم بكتابة الخوارزمية التي تنتج العمل، مما يجعل "الكود" نفسه عملاً فنياً.

هذا يُحيل إلى ما يسميه الناقد "إدموند بيرك" بـ **الذوق المُشفّر**، حيث يصبح الفنان هو من يحدد كيف تتذوق الخوارزمية، ويصيغ عبر البرمجة شروط الجمال ومعاييره ضمن نظام قابل للتوليد المستمر.

ثانيًا: التحول في مفهوم المؤلف

1.2 إشكالية "الملكية الإبداعية" في زمن الذكاء الاصطناعي

لطالما كان مفهوم "المؤلف" أو "الفنان" مرتبطًا تاريخيًا بملكية المعنى، وبتلك *النية الذاتية الواعية* التي تمنح العمل طابعه الفريد. غير أنّ دخول الذكاء الاصطناعي إلى حقل الإنتاج التشكيلي زعزع هذا المفهوم، إذ لم يعد بالإمكان اختزال المؤلف في ذات إنسانية واحدة، بل أصبح الناتج الفني ثمرة تعاون مع خوارزمية تتعلم وتحاكي وتولد الأنماط بناءً على بيانات سابقة.

تسائل بول ريكور عن "صاحب المعنى": "هل هو المؤلف الذي يضمره العمل، أم القارئ الذي يعيد تأويله؟" **(Klein M. , 2021)** . ومع دخول الذكاء الاصطناعي، يزداد هذا السؤال تعقيدًا، حيث تذوب النية الفردية في نسيج الخوارزمية، ويصبح "الكاتب" أو "الفنان" مجموعة من عمليات التصفية، والتعلم، والاستنتاج غير الواعية.

2.2 "موت المؤلف" في عصر الخوارزميات

استند العديد من النقاد إلى أطروحة رولان بارت الشهيرة في مقاله "موت المؤلف" (**La mort de l'auteur**)، حيث يؤكد أن المعنى لا يُحدد من قبل المؤلف بل من خلال القارئ، وأن "نصًا" ما لا يحمل صوتًا واحدًا بل *تعددًا دلاليًا* **(Müller, 2021)** . ومع الذكاء الاصطناعي، تتجسّد هذه النظرية بصورة شبه حرفية:

- لا توجد نية أصلية واحدة.
- لا يوجد مرجع تعبيري واضح.
- بل يوجد *نتاج احتمالي* مفتوح للتأويل، يُنتج من قبل آلة بلا وعي ولا مرجعية نفسية.

وهكذا، تُصبح كل صورة تُنتجها الخوارزمية "نصًا مفتوحًا"، لا يعبر عن موقف وجودي أو انفعال إنساني مباشر، بل عن نتيجة رياضية محسوبة.

3.2 من "المؤلف الفنان" إلى "المُبرمج المؤلف"

التحول الأبرز الذي يشهده المشهد المعاصر هو انتقال دور المؤلف من كونه "صاحب رؤية ذاتية" إلى "مصمم للنظام التوليدي"، أي أنه لم يعد يرسم اللوحة بل يصمم الآلة التي ترسم اللوحة.

ففي مشاريع مثل ***DeepArt*** و***RunwayML***، يقوم الفنانون بتحديد معايير الأسلوب، ومدخلات الخوارزمية، ومجال البيانات، بينما تتكفل الآلة بإنتاج النتائج **(Riceour, 1986)** هذا يدفعنا نحو مفهوم "المؤلف اللامباشر" أو "المؤلف الشبكي"، الذي لا يُنتج العمل بيده، بل يضع بنية معمارية (**code architecture**) تستدعي العمل إلى الوجود، مما يشبه الفلسفة الأفلاطونية للخلق أكثر من الفلسفة الوجودية للفن.

4.2 الذات المبدعة والهوية الجمالية

يشير الفيلسوف "ريتشارد شاسترمان" إلى أن الجمال المعاصر لم يعد متعلقًا بالذاتية الفردية، بل أصبح جزءًا من "ممارسات ثقافية معولمة"، تُصاغ عبر أدوات مشتركة وتُعاد تدويرها رقميًا**(Shusterman, 2000)** وهذا ما ينطبق تمامًا على الذكاء الاصطناعي، حيث لم تعد اللوحة مرآة "هوية فنية" بل نتاج معادلات إحصائية.

فأين تكمن الذات المبدعة إذًا؟ هل في "قرار تشغيل الخوارزمية"؟ أم في "اختيار قاعدة البيانات"؟ أم في "صياغة الكود"؟

إن هذه الأسئلة تُعيد النظر في طبيعة العمل التشكيلي كتمثيل للذات، وتجعلنا نتحدث اليوم عن "الهوية الخوارزمية"، أو "الذات التوليدية"، وهي ذات هجينة بين الإنسان والآلة.

5.2 نحو مفهوم "التأليف التشاركي"

يقترح بعض المفكرين استبدال مصطلح "المؤلف" بـ**"المنسّق الإبداعي" (Creative Curator)**، نظرًا لكون الفنان المعاصر بات يُشرف على سيرورة إبداعية مركّبة تشمل أدوات ذكية، قواعد بيانات، متغيرات تقنية، وتفاعلات جمهور.

هذا "التأليف التشاركي" لا يقتصر على فنان وآلة فقط، بل يمتد ليشمل "الذكاء الجمعي" الذي يُسهم فيه الجمهور عبر التفاعل والتعديل والاقتراح**(Manovich, 2019)** . فالعمل

الفني قد لا يُنتج دفعة واحدة، بل يتطور باستمرار تبعًا للمدخلات الجديدة، ما يُعيد تشكيل معنى "العمل المغلق" كما في المفاهيم الكلاسيكية.

النتائج الجزئية للمحور:

- لم يعد المؤلف ذاتًا فردية مغلقة، بل أصبح "بنية موزعة" بين الفنان والخوارزمية.
- أصبحت نية الفنان غير واضحة، وأحيانًا غائبة، مما يدفع إلى التفكير في الذكاء الاصطناعي كمشارك لا كأداة فقط.
- تُظهر الأعمال الفنية المعاصرة ميلًا نحو اللايقين التأويلي، حيث لا توجد دلالة واحدة حاسمة بل تعددية منفتحة على السياق.

ثالثًا: الجماليات الجديدة في زمن الآلة

1.3 من الجمال الإنساني إلى الجمال الحسابي

لطالما ارتبط مفهوم الجمال الفني بالذات الإنسانية، باعتباره تعبيرًا عن الانفعال، الحِس، والتأمل الجمالي الداخلي. ومع دخول الذكاء الاصطناعي مجال الإبداع البصري، بدأ هذا المفهوم يتعرض لتفكيك جذري، إذ بات العمل الفني يُنتج من خلال خوارزميات تتعامل مع الأشكال والألوان كبيانات رقمية، لا كتجارب وجدانية.

وهذا ما دفع الباحثة **كيت كراوفورد** إلى القول إن: "الخوارزميات ليست محايدة، فهي تحمل آثارًا ثقافية وقيمًا ضمنية صاغها مبرمجوها" **(Crawford, 2021)** .

وعليه، فإن الجمال الذي تُنتجه الآلة ليس عالميًا أو بريئًا، بل مشروطًا بمنظومة المعرفة التي تغذي الخوارزمية.

2.3 الجمال التوليدي: بنية لا تعبير

ظهر في العقدين الأخيرين مصطلح **"الجمال التوليدي" (Generative Aesthetics)**، وهو يشير إلى الأعمال التي تُنتج من خلال أنظمة خوارزمية أو عمليات تلقائية مبرمجة مسبقًا، لا تعتمد على تدخل مباشر أو عاطفي من الفنان. في هذا النوع من الجمال، يتراجع "الخط

اليدوي" ليحل محله "الكود البرمجي"، وتتحول اللوحة إلى نتيجة لحسابات احتمالية تتغير بتغير المعطيات **(M, 1965)**

ويقول الباحث الألماني هارتموت بوس في هذا الصدد: "الجمال التوليدي لا ينبع من التجربة الذاتية، بل من تعقيد الأنظمة التي تولّده، مما يجعل الذوق نفسه خاضعًا للبرمجة" **(Buss, 2018)**

3.3 تفكك "اللمسة البشرية" وتراجع الحِرفة

مع صعود الذكاء الاصطناعي، شهد الفن التشكيلي ما يمكن وصفه بـ**تراجع قيمة المهارة اليدوية**، أو "نهاية سيادة اللمسة البشرية" كما عبّر عنها ناقد الفن الأمريكي جوناثان نيومان..... ففي السابق، كان يُنظر إلى الحرفة كأحد معايير الجودة الجمالية، أما اليوم، فإن العديد من الأعمال المنتجة بالذكاء الاصطناعي تُقيّم بناءً على مدى "غرابتها" أو "تناصّها مع الأساليب المعروفة"، لا على أساس تقنيتها أو تفاصيل تنفيذها.

بالتالي، يبتعد التقييم الجمالي عن "المهارة اليدوية" ويتجه نحو "البرمجة الخلاقة"، مما يفرض إعادة تعريف لمفاهيم مثل:

- الإبداع
- الأصالة
- الجمال

4.3 أنماط جديدة للجمال المشفر

لقد أفرز الذكاء الاصطناعي **أنماطًا بصرية غير مألوفة** تتجاوز الذوق الكلاسيكي، مثل:

- التشوه المتعمد **(Distorted Realism)**
- توليفات لا منطقية للألوان والأشكال
- محاكاة متعددة الأساليب **(Multi-style Transfer)**

وقد فسّر الناقد ليف مانوفيتش هذه التحولات بأنها نتاج **"الجماليات الخوارزمية"**، حيث تُنتج الصورة عبر حسابات رياضية تعكس منظور الآلة لا الإنسان **(Manovich, AI**

(Aesthetics. , 2019) . وهذا النوع من الجمال غير مستقر، بل يتغير حسب التفاعل والبيئة الرقمية، مما يجعله جمالًا "تفاعليًا" و"زمانيًا" لا "ثابتًا" أو "متأملًا".

5.3 تعدد الذوق وذوبان المعايير الجمالية

تُظهر هذه الجماليات الجديدة تفككًا في المعايير التقليدية للحكم الجمالي. فبينما كانت المدارس الفنية القديمة ترتكز على مبادئ واضحة (مثل التوازن، التناغم، الانسجام)، أصبح الجمال الرقمي مشروطًا بالتأثير اللحظي والاستجابة الإدراكية السريعة.

أدى ذلك إلى:

- **دمقرطة الذوق**: حيث يستطيع الجميع إنتاج وتقييم أعمال فنية بمساعدة أدوات الذكاء الاصطناعي.
- **ذوبان التمييز بين الفنان والمبرمج**.
- **تداخل الجمال مع النفعية**، كما في تصاميم الواجهات والتطبيقات الرقمية التي توظف "الذوق الحسابي" لخدمة التجربة البصرية.

6.3 الذكاء الاصطناعي و"فقدان المعنى الجمالي"

يحذر بعض النقاد من أن هذه التحولات قد تؤدي إلى **"فراغ جمالي"**، إذ تصبح الصورة غاية في ذاتها، مجرد مظهر بصري بلا سياق ثقافي أو رمزي. وهذا ما دفع بيتر بورغر إلى القول إن الفن في زمن الآلة قد يفقد طابعه النقدي والرمزي ليصبح مجرد منتَج بصري استهلاكي **(Bürger, 1984)**.

لكن في المقابل، يرى آخرون مثل "بنجامين براتون" أن الذكاء الاصطناعي لا يُقصي الجمال، بل يُعيد تشكيله كعملية مفتوحة ومتغيرة، قائمة على التفاعل والاحتمال، لا على الثبات أو التكرار **(Bratton, 2021)** .

النتائج الجزئية للمحور

- تغير مفهوم الجمال من كونه تجربة إنسانية إلى كونه ناتجًا لخوارزميات منظمة.
- تراجعت مفاهيم الأصالة والمهارة اليدوية، لصالح البرمجة والتوليد.

- ظهرت جماليات هجينة، لحظية، وتفاعلية، تعيد تعريف الذوق والتقييم الفني.
- تعرّضت المعايير الكلاسيكية للحكم الجمالي إلى الذوبان والتشظي.

رابعًا: الذكاء الاصطناعي والفنان المعاصر

1.4 بين التهديد والتكامل: موقع الفنان في زمن الآلة

يعيش الفنان التشكيلي المعاصر وضعًا مركبًا أمام الذكاء الاصطناعي، إذ يجد نفسه بين قطبين متناقضين:

- قطب **التهديد**، الذي يتمثل في احتمال فقدان الدور المركزي في عملية الإنتاج الفني، خاصة بعد أن أصبحت الخوارزميات قادرة على محاكاة أنماط تشكيلية معقدة.
- وقطب **التكامل**، الذي يسمح للفنان بتوسيع أفقه الإبداعي عبر الاستفادة من الذكاء الاصطناعي كأداة تتفاعل مع رؤاه ومقترحاته.

يقول الفنان الألماني **ماريو كلين** في مقابلة حول أعماله التوليدية:

"إن الذكاء الاصطناعي أداة، لكنه لا يملك القلق الوجودي الذي يدفعني للرسم. لوحتي هي معركتي مع نفسي، أما هو فآلة تنفّذ معادلات" **(Klein M. , Painting with Machines: Reflections on AI and Emotion. , 2021)**. وهذا القول يسلّط الضوء على البُعد العاطفي والتجريبي الذي لا تزال الآلة غير قادرة على محاكاته بشكل حقيقي.

2.4 تحوّل الفنان إلى "مُصمم أنظمة"

في نماذج الفن التوليدي، يتغير دور الفنان من "صانع صورة" إلى "مصمم بنية"، فهو لا يرسم اللوحة بيده، بل يكتب الكود الذي يولّد الصورة. وهنا يظهر ما يُعرف بـ**"الفنان-المبرمج" (Artist-Programmer)**، وهو نمط فني يتطلب من الفنان امتلاك أدوات فنية وتقنية في آن واحد.

في هذا السياق، يصبح الكود نفسه **مادة تشكيلية**، تُماثل الفرشاة أو الطين أو القماش، ويُعامل كحقل تعبيري مفتوح. يُعرّف الناقد ريكاردو باراندیلا هذا النوع من الفن بقوله:

"اللوحة لا تُرسم هنا، بل تُبرمج. والخيال لا يُسكب، بل يُترجم إلى خوارزمية" **(Barandilla, 2019)**.

3.4 التفاوض بين التعبير الذاتي والتوليد الآلي

من أبرز التحديات التي تواجه الفنان المعاصر هي **كيفية الحفاظ على البصمة الشخصية** وسط عالم من الصور المُولّدة آليًا. فمع قدرة الذكاء الاصطناعي على تقليد الأساليب الفنية المختلفة، أصبح التفرد التعبيري مهددًا بالذوبان في النمطية الخوارزمية.

ومع ذلك، فإن العديد من الفنانين لجؤوا إلى ما يمكن تسميته بـ**"التفاوض الجمالي"**، أي أنهم لا يسلّمون كل العملية للآلة، بل يُدخلون تعديلات مستمرة، يختارون المدخلات، ويتدخلون في النتائج، مما يخلق مسارًا مزدوجًا يجمع بين الذكاء الاصطناعي والإرادة الإنسانية.

مثال على ذلك مشروع الفنانة التركية **رفيعة إينسيك** التي تستخدم خوارزميات **GANs** لإنتاج لوحات رقمية ثم تعيد رسمها يدويًا بوسائط تقليدية، لتؤكد على استمرار **اللمسة الإنسانية** كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه.

4.4 التفاعل مع الجمهور عبر وسائط ذكية

أدى استعمال الذكاء الاصطناعي إلى تحوّل في العلاقة بين الفنان والمتلقي. ففي المشاريع التفاعلية التي يُعيد فيها الذكاء الاصطناعي توليد العمل وفقًا لتفاعل المشاهد (حركاته، صوته، اختياراته)، يصبح الجمهور جزءًا من العمل، ويؤدي الفنان دور **المصمم للحدث الفني** أكثر من كونه خالقًا للعمل المنجز.

يشير الناقد الأميركي **فرانك بوب** إلى هذا التحول بقوله:

"في الفن الذكي، يصبح الفنان موجّهًا للأحاسيس والاحتمالات، لا مالكًا للمعنى. هو من يضع قواعد اللعب فقط"**(Pope, 2022)** . و هذا يُعيد تعريف الفن التشكيلي كمجال **تفاعلي مفتوح** لا كمنتَج مغلق نهائي.

5.4 الفنانون الجدد: بين التقنية والإبداع

مع هذا التحول، ظهر جيل جديد من الفنانين الهُجناء بين التقنية والفن، يُتقنون البرمجة كما يُتقنون التكوين الجمالي، ويعملون ضمن فرق تجمع فنانين، مبرمجين، ومهندسي بيانات. هذا الدمج أنتج ما يُعرف بـ**"التصميم الخوارزمي الجمالي"**، أي تلك الأعمال التي لا تُنتج إلا عبر خوارزميات مدروسة تتعامل مع مفاهيم فنية كالضوء، الإيقاع، الفراغ.

فمن الفنان الياباني **ريو ماتسوموتو** إلى الكندية **جينيفر باتشيلور**، نجد أن الفنان المعاصر بات مهندس تجريبيًا للجمال الرقمي، يتعامل مع الرموز والمعطيات كما يتعامل مع اللون والخط.

النتائج الجزئية للمحور

- لم يعد الفنان مجرد منفّذ، بل أصبح "مصممًا" لنظام إبداعي تشاركي مع الذكاء الاصطناعي.
- الكود أصبح مادة تشكيلية، والخوارزمية وسيلة للتعبير.
- ظهرت نماذج هجينة للفنان تجمع بين البرمجة والتأمل الجمالي.
- العلاقة مع الجمهور تغيّرت، وأصبح التفاعل جزءًا من العملية الإبداعية.

خامسًا: تلقي الجمهور وتغير معايير التقييم

1.5 انهيار التمييز البصري بين "اليد" و"الخوارزمية"

كشفت دراسات تحليلية أُجريت في معارض فنية تفاعلية أن نسبة كبيرة من المتلقين لا يتمكنون من التمييز بين عمل فني مرسوم يدويًا وآخر تم توليده عبر خوارزميات **(Müller T. 2021)**. هذا التماثل البصري يطرح سؤالًا فلسفيًا مهمًا:

هل الجمال مرهون بأصل العمل؟ أم أن التجربة الجمالية كافية بذاتها؟

فإذا كان الذوق الجمالي لا يميّز بين الأصل والنسخة، وبين اليد والخوارزمية، فإن **فكرة "الأصالة" تفقد مركزيتها** في تقييم العمل الفني، وهي التي كانت تشكل أحد أعمدة النظرية الجمالية منذ القرن الثامن عشر.

2.5 تراجع "الحرفة" وظهور "الفكرة"

في الفكر الجمالي الكلاسيكي، كانت "الحرفة" أو المهارة اليدوية تمثل معيارًا أساسيًا للحكم الجمالي. أما اليوم، فإن الذكاء الاصطناعي يُنتج لوحات ذات تكوين بصري متقن دون أي تدخل يدوي، مما أدى إلى تراجع الحرفة كمعيار، وتقدّم **الفكرة والمفهوم والسياق** كعنصر تقييم أساسي.

كما يشير المفكر الفرنسي نيكولا بوريو في نظرية "الفن العلائقي":

"قيمة العمل لم تعد تُقاس بجودته التقنية بل بقدرته على خلق تفاعلات اجتماعية وثقافية" **(Bourriaud, 1998)**. وبذلك، ينتقل مركز الثقل الجمالي من **شكل العمل** إلى **النية والبيئة وعلاقته بالجمهور**.

3.5 الجمهور كمنتج للمعنى

أحدث الذكاء الاصطناعي تحولًا في **دور المتلقي** من مشاهد سلبي إلى فاعل ضمني أو مشارك في بناء المعنى. ففي بعض المشاريع التوليدية، مثل أعمال الفنان الأميركي مارك أميرت، يُطلب من الجمهور إدخال نصوص أو صور ليقوم النظام الذكي بتوليد عمل فني بناءً على اختياراتهم.

وهنا يُصبح **المعنى مشتركًا** بين الفنان، الخوارزمية، والمتلقي.

يقول الناقد الثقافي هانز كايزر:

"في زمن الذكاء الاصطناعي، لم يعد التلقي فعلًا انفعاليًا، بل أصبح ممارسة تأويلية بناءة، تُعيد صياغة هوية العمل" **(Kayser, 2020)** .

وهذا ما يقود إلى تفكيك الحدود بين الفنان والمتلقي، بين المعنى المقصود والمعنى المكتسب، بين النص المُنتَج والنص المُؤوَّل.

4.5 المنصات الرقمية وتشكيل الذوق

تلعب المنصات الرقمية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي (مثل **Artbreeder**، **DALL·E**، **RunwayML**) دورًا متزايدًا في **تشكيل الذوق الفني المعاصر**. فهذه المنصات لا تُنتج فقط،

بل تُقترح، وتُرتب، وتُظهر أنماطًا جمالية معينة أكثر من غيرها، مما يُعيد إنتاج ذوق جماعي موّجه من طرف الخوارزميات.

وبالتالي، تتعرض معايير التقييم الجمالي إلى ما يمكن وصفه بـ**"الاستدلال الخوارزمي"**، حيث تُصبح شهرة العمل أو تكراره ضمن الخوارزميات معيارًا لجودته، بصرف النظر عن أصله أو رسالته أو تقنيته.

5.5 الذكاء الاصطناعي كمرآة لذوق الجمهور

تستند الخوارزميات إلى ملايين الصور التي يختارها ويقيّمها المستخدمون، مما يجعلها انعكاسًا لـ"ذوق عام مركّب"، يُنتَج ويُعاد تدويره باستمرار. لكن هذا التكرار يُفضي إلى **تنميط بصري**، حيث تنتشر أنماط معينة على حساب الابتكار أو الاختلاف، مما يدفع البعض إلى وصف الفن التوليدي بأنه "توافق ذوقي خوارزمي" أكثر من كونه مشروعًا جماليًا ذاتيًا.

النتائج الجزئية للمحور:

- لا يستطيع الجمهور دائمًا التمييز بين العمل اليدوي والمولّد آليًا، مما يُفقد الأصالة أهميتها السابقة.
- تراجعت المهارة اليدوية كمعيار للتقييم، لصالح الفكرة والسياق والرسالة.
- أصبح المتلقي شريكًا في بناء المعنى، خاصة في الأعمال التفاعلية المدفوعة بالذكاء الاصطناعي.
- المنصات الذكية تعيد تشكيل الذوق الجمالي ضمن منطق تفضيلي تحكمي مبني على البيانات.
- ظهرت تساؤلات جديدة حول السلطة الجمالية: من يُحدّد القيمة؟ الإنسان أم الخوارزمية؟

النتائج العامة

من خلال المحاور التي تناولها هذا المقال، يمكن استخلاص النتائج التالية:

1. **تغيّر مفهوم الإبداع الفني**: لم يعد الإبداع التشكيلي حكرًا على الذات الإنسانية، بل أصبح عملية هجينة تشترك فيها الخوارزميات والبيانات الضخمة، مما أدى إلى إعادة تعريف العمل الفني كمنتج تشاركي بين الإنسان والآلة.
2. **ظهور أنماط جمالية جديدة**: أدى اعتماد الذكاء الاصطناعي إلى بروز مفاهيم مثل "الجمال التوليدي" و"البرمجة الجمالية"، والتي تركز على البنية الحسابية للعمل الفني بدلًا من المهارة اليدوية أو التعبير الذاتي.
3. **تحوّل في دور الفنان**: انتقل الفنان المعاصر من كونه منتجًا مباشرًا للوحة إلى كونه مصممًا للأنظمة الجمالية، يجمع بين الحس الفني والمعرفة البرمجية، ويخوض في "كودات" الخلق بدلًا من أدواته التقليدية.
4. **تأثير الذكاء الاصطناعي على التلقي والتقييم**: أصبح الجمهور غير قادر في كثير من الأحيان على التمييز بين الأعمال اليدوية والمولدة بالخوارزميات، ما أدى إلى تراجع معيار "الأصالة"، وارتفاع أهمية السياق الفكري والثقافي في تقييم العمل الفني.
5. **إعادة صياغة العلاقة بين الفنان والمتلقي**: في ظل الفن التفاعلي المدفوع بالذكاء الاصطناعي، لم يعد المعنى يُنتج من طرف واحد، بل أصبح نتيجة تفاعل بين الفنان، الآلة، والمتلقي، مما يعكس تحولًا في البنية الجمالية نحو تعدد الأدوار والمساهمات.
6. **إثارة إشكاليات فلسفية وأخلاقية جديدة**: أدّى هذا التحول إلى بروز تساؤلات حول "ملكية" العمل الفني، و"هوية" المؤلف، وحدود الإبداع بين الإنسان والآلة، وهو ما يستدعي إعادة التفكير في المفاهيم الكلاسيكية للجمال والفن.

الخاتمة

إن الذكاء الاصطناعي لم يأتِ ليقضي على الفن أو يهمّش الفنان، بل جاء ليعيد تشكيل أدوات التعبير ومفاهيم الإنتاج الجمالي. فبدلًا من النظر إليه كبديل عن الإبداع الإنساني، ينبغي اعتباره شريكًا معرفيًا يفتح للفنان أفقًا غير مسبوق من الاحتمالات.

لكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن الذكاء الاصطناعي يفرض على الممارسة الفنية تحديات حقيقية، تتعلق بالحفاظ على الذات المبدعة، وبتحديد القيمة الجمالية والمعرفية للعمل الفني في سياق مفرط بالتقنية والبيانات.

إن مستقبل الفن التشكيلي المعاصر يرتبط بالقدرة على الموازنة بين الحس الإنساني والحساب الآلي، بين الخيال والبرمجة، بين الذات والنظام.

وعليه، تبقى مهمة الفنان اليوم هي ليس فقط إنتاج صورة جميلة، بل أيضًا إنتاج سؤال جمالي جديد حول معنى الفن في زمن تتكلم فيه الآلة.

5. قائمة المراجع:

1. Ahmed, S. (2019). *Artificial Art and Human Authenticity: .*
2. B, B. (2021). The Revenge of the Real: Politics for a Post-Ppendemic World . *Verso Books*, 172.
3. Barandilla, R. (2019). The Algorithmic Brush: Artists Writing Code. . *Creative Computing Review, ,* 138.
4. Barthes, R. (1967). La mort de l'auteur. *Revue Mantéia, n°5,*, 148.
5. Barthes, R. (1967). La mort de l'autrur. *Revye Mantéia* , n 5.148.
6. Bourriaud, N. (1998). Esthétique relationnelle. *les presses du réel*, 76.
7. Bratton, B. (2021). The Revenge of the Real: Politics for a Post-Pandemic World. . *Verso Books,*, 172.
8. Bürger, P. (1984). 1 Theory of the Avant-Garde. . *University of Minnesota Press,*, 65.
9. Buss, H. (2018). Kunst aus dem code: Generative Asthetik und digitale Bilderzeugung. *Transcript Verlag*, 114.
10. Crawford, K. (2021). Atlas of AI: Power, Politics, and the Planetary Costs of Artificial Intelligence. *Yale University Press*, 77.
11. Goodfellow, I., Pouget-Abadie, J., Mirza, M., XU, B., Ozair, S., Courville, A., & Bengio, Y. (2014). Generative Adversarial Nets. *Advances in Neural Information Processing Systems*, 27.112.

12. Kayser, N. (2020). The Post-Viewer Era: AI and the New Aesthetic Subect. *Digital Humanities Review*, 118.
13. Klein, M. (2012). Painting wiith Machines:Refleectons on Al and Emotion . *Art et Code*, 94.
14. Klein, M. (2021). Painting with Machines: Reflections on AI and Emotion. . *Art & Code,*, 94.
15. Klein, M. (2021). Painting with Machines: Reflections on AI and Emotion. . *Art & Code*, 94.
16. M, B. (1965). Aaesthetica: Einfuhrung in die neue Asthetik. *Agis Verlag*, 92.
17. Manovich, L. (2019). AI Aesthetics. . *Strelka Press,* , 208.
18. Manovich, L. (2019). Al Aesthetics. *Strelka Press*, 208.
19. Müller, T. (2021). Human vs Machine: Aesthetic Perception in Generative Art. *Journal of Visual Culture, 20(3*, 211.
20. Muller, T. (2021). Human vs Machine: Aesthetic Perception in Generative Art. *Journal of Visual Culture*, 20.211.
21. Müller, T. (2021). Human vs Machine: Aesthetic Perception in Generative Art. *Journal of Visual Culture, 20(3)*, 211.
22. Pope, F. (2022). The Post-Human Aesthetics. . *New Forms Journal,*, 203.
23. Riceour, P. (1986). Du texte a l'action: Essais D'herméneutiquell. *Editions du seuil*, 204.
24. Shusterman, R. (2000). Pragmatist Aesthetics: Living Beauty, Rethinking Art. *Rowman & Littlefield*, 171.